obeikandl.com

obeikandl.com

تشتمل المرافعة على مجموعة من الأحكام العامة تتمثل في الارتجال في المرافعة، وعناصر في المترافع الناجح، ودستور للمرافعة، وسوف نتناول هذه الأحكام فيما يلي:

أولاً: ارتجـال المرافعـة :

لقد جرت العادة على تقسيم المرافعة إلى مقدمة أو تمهيد، ثم عرض للموضوع، يليه المناقشة وهي لب المرافعة وجوهرها.

وخرج البعض على هذه العادة فلم يأبهوا بالمقدمة ولم يقسموا المرافعة إلى قسميها التقليديين – العرض والمناقشة – إنما كانوا يسوقون الوقائع ويناقشونها معاً حتى إذا انتهوا من السرد سقطت أدلة الخصم من نفسها، ويكون المترافعون مستعدين عند قبول المرافعة لأن يلاقوا وهم يؤدون واجبهم من العقبات والأخطار ما يلاقيه الجنود في الميدان من طوارئ ومفاجآت.

وقيل أن المرافعة تمثل العدسة التي تكشف للقاضي التعاريج والمنحنيات الدقيقة التي يعتمد عليها الخصوم في تكييف المنازعة وتوجيهها نحو مصلحتهم. والقاضي مهما كان ذكياً فطناً أو مهما توافر وقته لبحث الخصومة المعروضة عليه في حاجة لذلك المنظار يساعده على ملاحظة تلك الوقائع،وقد تكون من أهم النقاط التي توجه تقديره لمصلحة أحد المتخاصمين فيقضي له، ولولا اكتشافها لقضي للخصم الآخر. ويتعين أن يركز المترافع وينتبه حتى لا ينس أو يقدم نقطة على

أخرى، وأن يكون ثابتاً لا يهتز أو يضطرب إذا فوجئ بما ليس في الحسبان، صبوراً موطداً النفس على سعة الصدر مهما تعرض للمقاطعة.

وأخيراً فإن المترافع يستعمل قوة حجته وسلامة منطقه وجزالة عبارته وسحر شخصيته وشحذ كل حواسه للوصول إلى عقل ووجدان قاضيه.

ثانياً: الأسلوب واللغة :

ليس ضرورياً أن تكون كل المرافعة بألفاظ مقعرة وباللغة العربية الفصحى، ولكنه يتعين الجمع بين الاثنين بحيث يستطيع المترافع أن يدفع الملل والرتابة بعيداً عن قاضيه.

وقد كان الهلباوي يتكلم الفصحى فيفوق فقهاء اللغة ولكن الرجل محام بطبيعته وسليقته، فهو يعرف أن العربية الصحيحة ما تزال اليوم لغة صعبة وأنها ما تزال تجهد المخاطِب والمخاطَب.

للدفاع كامل حريته:

فالمترافع يقف غالباً ليدافع عن متهم أحاطته النيابة والشرطة بسياج متين من الأدلة والبراهين وأحاطه الرأي العام وصحفه بحكم قاس سبق به حكم القضاء. وليس للمتهم الأعزل إلا ذلك الرجل الذي وقف علمه وفضله ولسانه على الدفاع عنه، فإن نحن ضيقنا عليه الخناق وحاسبناه على كل لفظ يفلت منه أو تعبير يسبق به لسانه لم نمكنه من أداء

obeikandl.com

واجبه. فحرية الدفاع ملك للمحامين، وأعطيت لهم للمصلحة العامة، لمصلحة المواطنين جميعاً، وليس لأحد أياً كان أن يعتدي عليها.

ولقد وقف محام فرنسي مشهور يترافع في قضية، فنسب إلى النائب المترافع أنه قد لجأ في مرافعته إلى استغلال الشهوات الضارة، وهذا ليس بالأمر الحسن، فعد قوله هذا مخالفة تأديبية وحوكم من أجلها، وكان دفاعه عن نفسه أن قال : " أما شخص النائب المترافع فمنفصل عن مرافعته كل الانفصال، فشخصه محل إجلالي واحترامي، ولا أبيح لنفسي أن أهاجمه، ولكني أهاجم مرافعته، فهي ملكي ومن حقي أن أمزقها إرباً أطأه بقدمي " وقد أدانته محكمة الاستئناف بباريس وقالت أن من حق المترافع أن يدافع عن موكلة ولكن ليس من حقه أن يهاجم. فردت عليها محكمة النقض بأنه لا دفاع بغير هجوم لأننا إذا ألزمنا المترافع أن يقيس ألفاظه ومعانيه، وأن يخشى ما قد يعطى لها من تفسير لم يقصده وأن يرهب ما قد تؤدي إليه من معان لم تخطر له ببال فإننا نكون قد قضينا على مرافعة ارتجالية، وأطفأنا جذوة البلاغة القضائية لأنه لا مرافعة بغير ارتجال.

حرية المرافعة (حرية الدفاع) :

لقد حرص المترافعون دائماً أن يكونوا أحراراً في مرافعاتهم مشتغلين فيما يختطونه من خطة ولا يخضعون لتوجيه أياً كان مصدره. فلا هم خاضعون لتوجيه القاضي ولا لتعليمات صاحب القضية بل مؤدون رسالتهم بما تملي عليهم ضمائرهم لا يرهبون أحداً ماداموا لا يعتدون على أحد إلا

إذا اعتدى عليهم وما لهم اعتداء إلا بالقدر الذي يتطلبه الدفاع... فإذا أحس بضغط من أي نوع تعثرت كلماته وضعفت حجته وفقدت آراؤه جرأتها وانطلاقها، ولولا حرية الدفاع لضاعت الحقيقة بين الناس، إذ لا تجد من يعبر عنها ومتى ضاعت الحقيقة ضاعت العدالة التي هي أساس الحكم وبغيرها تسود الفوضى ولا يقوم نظام. والمحامون هم أساس ذلك النظام وهم روح العدالة وإذا كانوا لا يكتبون الأحكام فإنهم يعدون لها ببحوثهم ومرافعاتهم فيقدمون للقضاء المادة الأولية لصناعته.

وأولى مميزات المترافع الجيد هو التواصل بحيث يشعر القاضي أن هناك رسالة موجهة من ذهن وقلب المترافع إلى ذهنه وقلبه. ويجب أن يكون الإلقاء بالأسلوب الطبيعي حتى يخيل للمستمع أنك قد وضعت في مرافعتك لتصبح محامياً محترفاً من الطراز المترافع، لأن الناس تتجمع حول المترافع المفعم بالطاقة أو مولد الطاقة البشري صاحب الابتسامة الساحرة الذي يجعل الآخرين في استجابة دافئة له دائماً عندما يجعل لمرافعته طبيعة كالحديث الودي الدافئ الجميل الممتلئ حيوية وصدقاً.

وعند بداية المرافعة لمخاطبة القاضي يحسن ألا تبدأ بالعجل فتلك سمات المبتدئين بل يجب أن تستنشق نفساً عميقاً وتنظر إلى قاضيك للحظة واحدة، وإن كانت هناك ضجة في ساحة المحكمة فترقب قليلاً حتى تزول ثم ابدأ مرافعتك كما تريد بكل تلقائية وابعث فيها الحياة بكلماتك المضيئة.

فقد تكون المرافعة جيدة الأفكار وحسنة العبارات والأسلوب، ثم لا تظفر بإلقاء جيد فتضيع فائدتها إذ لا يفهمها السامعون ولا تجذب انتباههم، وقد تكون أقل من ذلك في إعدادها ولكن جودة إلقائها تنهي إلى السامعين كل جزئية منها، فتكون فائدتها أكبر وأكثر.

ثالثاً: الإلقاء الجيد :

الإلقاء الجيد له قواعد من أهمها ما يلي :

١. جهارة الصوت وقوته.

٢. حسن مخارج الحروف وتمييز أجزاء الكلمة.

٣. تلوين الصوت وتكييفه، فيجهر المترافع مرة ويعلو صوته ويلين مرة أخرى حتى يكون كلامه هامساً، كما يسرع في جملة ويمد صوته في أخرى، ولابد أن يميز لهجة الاستفهام من لهجة الخبر، وهكذا فلا يحسن لهذا أن تكون المرافعة مكتوبة و لا محفوظة، ولكن المترافع يعد عناصر مرافعته والأفكار التي يريد نقلها ثم يعبر عنها بطريقته، وهذا يتوقف على مقدرة المترافع الكلامية ومحصوله اللغوي ومحفوظاته الأدبية كما يتوقف على حسن تفكيره وقدرته على تحليل موضوعه.

٤. لا بد من جودة الإلقاء باستخدام الإشارات باليد أو بغيرها أيضاً، فإن هذه الإشارات توضح المعنى وتثبت أثره في المسامع، وفي هذا يقول

obeikandl.com

الجاحظ : " والإشارة واللفظ شريكان. ونعم العون له الترجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتغني عن الخطأ ". فالمحامي الذي لا يكون متأثراً بكلامه يفقد أهم صفات المترافع المؤثرة.

أما من ناحية التدريب على الإلقاء فلابد لمن يعد نفسه لهذه المهمة أن يمارسها مرات عديدة ويمرن نفسه عليها في وحدته وبين رفاقه المتدربين حتى يحرز فيها تقدماً. هذا كما أنه لا بد من التكوين الأدبي بكثرة المحفوظات الأدبية خطباً وشعراً وكتابة مع الدرس التاريخي والتثقيف العام والقراءة المستمرة حتى لا يكون ذهن المترافع راكداً. وهذا ما يفيد المترافع في الحالات التي يتعرض فيها للارتجال.

فليست المرافعة غزارة علم أو زخرفة كلام، إنما حياة الدفاع في طريقة عرضه وحسن اختيار الأدلة ودقة ترتيبها وفي تصوير الدعوى والرد على وجه دفاع الخصوم، وخير المترافعين هو الذي يستطيع أن يستقرئ ميول القاضي ويتابع تفكيره ويسبقه إلى ما يقع في نفسه من الخواطر والإلهامات مما يؤدي إلى المزاوجة بين طرق الإقناع والاقتناع التي من شأنها أن يتبعها قبول حسن من القاضي لرسول صاحب الحق.

وتقوم المرافعة على الإسناد والتدليل المنطقي، الحجة بالحجة وقوة البيان وثبات الجنان والاستعانة – بقدر – بالتأثير العاطفي لاستدرار عطف القاضي أو إثارة غضبه حسبما يتراءى للمدافع مع وجهة نظره.

ويتعين أن يكون المترافع يقظاً حاد الذهن واسع الصدر والحيلة عند استجواب المتهمين أو مناقشة الشهود لحماية موكله – ومحاصرة الملفقين وشهود الزور حتى تظهر الحقيقة فينكشف البطلان ويتحصل على البراءة.

والارتجال في المرافعة هو قمة البلاغة القضائية ولا توجد مرافعة بغير ارتجال، ويعتمد الارتجال بالدرجة الأولى على حضور البديهة التي هي بطبيعتها هبة من عند الله، لذلك يلجأ الكثيرون ومنهم بعض الكبار إلى كتابة مرافعاتهم قبل الجلسات بلغة المرافعة وهي لغة تختلف في طبيعتها وأسلوبها عن لغة المذكرات التي تكتب لتقرأ فيضع المترافع لنفسه في هذه المرافعة – التي تبدو طبيعية – تصوراً للدفاع لا يحيد عنه ثم يقوم بالتخديم عليه أثناء المرافعة بما يناسب الحال من رصيده المختزن من المقدمات أو النهايات المرتجلة.

والخطباء وخصوصاً المترافعون يحتاجون إلى حضور البديهة،وسرعة الخاطر، وربما سنحت للمترافع كلمة من خصمه لم يكن يتوقعها ولكنه يتصيدها بسرعة ويبني عليها مرافعة ولا تستغني البديهة الحادة عن ذخيرة الثقافة والمحصول الأدبي، فالارتجال هو موهبة الاختراع في شكله الأكثر بدائية. إنه فن التباري مع المفاجئ والطوارئ، والإفادة من الظروف الغير متوقعة، فعلى الشاب الذي يود النجاح أن يتعلم ممارسة هذا الفن إلى درجة يصبح معها رد فعل، بحيث يكون فكره حاضراً دائماً وغير مضعضع البتة عندما يجد نفسه في موقف لم يواجه مثله من قبل. ويمثل الارتجال دوراً كبيراً في المحاكم، وهو ذو أهمية فائقة في فن تحقيق النجاح في الحياة العملية.

وعلى المترافع أن يكون دارساً تماماً لموضوعه وأن يضع في ذهنه أو على ورقة ما النقاط التي سيقوم بالتحدث فيها، وماعدا ذلك يكون

obeikandl.com

خطابه كله مرتجلاً. وعليه أن يحظى بالدقة ونوع الأسلوب الذي سيستعمله لو أراد كتابة مقال في مجلة، وبهذا الثمن وحد ه يستطيع أن يشتري ذلك الإحساس التلقائي والاستجابة الطبيعية بالشعور والمساواة بينه وبين سامعيه.

فالعيوب المزعومة التي تنسب إلى الخطاب المرتجل هي في الواقع من صور جاذبيته، والجمل الاعتراضية التي تتضمنها والفواصل والعبارات الغامضة والتكرار كلها ذات تأثير فعال مادامت موجودة في نطاقها ومادام ذلك المترافع قادراً على أن يوجه حربته أثناء المرافعة إلى حبل الوريد.

رابعاً: عدم إرهاق المحكمة :

ما من محكمة تستطيع الإصغاء لرجل بانتباه أكثر من ساعة واحدة، فلا تكثر من الاستمرار في الكلام إذا كان ذلك يرهق المحكمة، فإذا لم يكن قد أثقل على المحكمة، فليتحدث بالقدر اللازم لشرح جميع النقاط الأساسية في القضية. وهنا يجب على المرء أن يحرص على العمود الفقري في القضية فلا يحيد عنه إلى الضلوع المتفرقة منه، وبالتالي يجب على المترافع أن يشعر وأن يجعل المحكمة تشعر أنه محظوظ لوقوع اختيار موكله عليه للدفاع في قضيته.

obeikandl.com

وعند الإلقاء يجب ملاحظة ما يلي :

١. شدد على الكلمات المهمة واخفض على غير المهمة.

٢. غير طبقات صوتك.

٣. توقف قبل وبعد الأفكار المهمة.

٤. غير معدل سرعة صوتك.

فالموهبة حضور وشخصية.

والناس تعجب بالمحامي المفعم بالطاقة وتلتف حول مولد الطاقة البشري.

خامساً: التدرج والتسلسل في عرض المسائل موضوع المرافعة :

هناك قواسم مشتركة أساسية في عرض وسائل الدفاع سواء وردت تلك الوسائل في المرافعات الكتابية أو في المرافعات الشفوية. فعندما تدور وسائل الدفاع حول البحث في العناصر الواقعية والقانونية في النزاع المطروح، فمن البديهي القول أن عرض العناصر الواقعية يجب أن يسبق عرض الأوصاف والنتائج القانونية التي تترتب عليها.

وإذا كانت هناك أوجه دفاع مختلفة في القضية، فمن البديهي القول أن عرض أوجه الدفاع يجب أن يتدرج من الدفوع الإجرائية إلى الدفوع بعدم القبول إلى الدفوع الموضوعية.وإذا كانت هناك مطالب وأوجه دفاع أصلية وأخرى احتياطية فلا بد من عرض الأولى أولاً وإيراد الثانية على سبيل الاحتياط أو الاستطراد.وبكل الأحوال يجب أن تتلاحق أجزاء

obeikandl.com

المرافعة الخطية أو المرافعة الشفوية بشكل متسلسل بحيث يسبق الجزء الذي يوضح غيره الأجزاء الأخرى، كذلك يجب مراعاة التسلسل الزمني والمنطقي في تلاحق الأجزاء.

ولاشك أن المبادئ المتقدمة يمكن الاسترشاد بها منهجياً في أي دفاع يحضر سواء كان الدفاع خطياً أو شفوياً، ولكن تبقى هناك بعض الإرشادات المنهجية التي تتعلق بالمرافعة الشفوية وحدها خصوصاً عندما تتعلق المرافعة بعرض العناصر الواقعية ووسائل الإثبات والأدلة المتوفرة لها في المجال الجزائي.

وبالفعل فإن وكيل الخصم أو المتهم أمام المحكمة الجزائية يجد نفسه بمواجهة تحقيقات أولية واستنطاقية أقامت نوعاً من البنيان الواقعي الذي يوفر أرضية ملائمة لإدانة المتهم، وبالطبع يفترض بوكيل الدفاع أن يبذل جهده خلال التحقيق النهائي أمام المحكمة لزعزعة ذلك البنيان والتشكيك فيه، ليتمكن بالنهاية من تحضير مرافعة شفهية قد تقنع المحكمة بوجهة نظر معينة تفيد المتهم، وهنا ننصح بأن تتلاحق أجزاء المرافعة وفقاً للتسلسل التالي :

أ – التشكيك بصحة البنيان الواقعي الذي بني عليه الادعاء توصلاً لهدم هذا البيان:

ويتم ذلك من خلال الدخول في بحث التفاصيل التي استند إليها هذا البنيان الواقعي وبيان عدم صحة التفسير الذي أعطي للعناصر الواقعية الثابتة لإقامة هذا البيان، أو على الأقل محاولة إعطاء تفسيرات أخرى محتملة من شأنها أن تلقي ظلالاً من الشك على التفسير المعتمد لإقامة البنيان الواقعي.

ب- التدرج في مناقشة أدلة الإثبات وعرض أدلة النفي بشكل منهجي سليم:

فنحاول أولاً تقويض أدلة الإثبات وبعدها نسلط الضوء جيداً على أدلة النفي مع التدريج في عرض تلك الأدلة من الأضعف إلى الأقوى وليس العكس، بمعنى أنه إذا تضمنت المرافعة عدة أدلة نفي تتفاوت في قيمتها وأهميتها فيجب أن نبدأ بعرض الحجة الأضعف أولاً لننتهي بأقوى حجة أو دليل،بحيث يأتي كل دليل معززاً ومقوياً للدليل أو الأدلة التي سبقته في العرض، وإتباع أسلوب معاكس أي عرض الدليل الأضعف بعد الدليل الأقوى من شأنه أن يظهر الدليل الضعيف بمظهر الدليل الهزيل وفي نفس الوقت يضعف الدليل القوي الذي ورد قبله.

كذلك يجب عند استعراض الأدلة مقارنتها بالعناصر الواقعية المتخذة دليلاً لإثباتها، لأن ما يصلح لإثبات واقعة معينة قد لا يصلح ولا يكفي لإثبات واقعة أخرى ترتدي أهمية أكبر، وتبعاً لذلك فإن متطلبات الاقتناع لدى القاضي تتدرج أحياناً مع تدرج خطورة القضية،إذ أن متطلبات الاقتناع عند القاضي تكون عادة أكبر في القضايا الخطيرة منها في القضايا البسيطة، وقد عبر أحد المترافعين عن ذلك بمناسبة مرافعته عن متهمة في إحدى القضايا عندما قال "إن الأدلة المعروضة تعتبر غير كافية لإثبات دين، عاجزة عن حرمان شخص من حق من حقوقه المدنية، مثيرة للسخرية إذا عرضت لإثبات مخالفة بسيطة، مخزية إذا توسلت لإثبات تهمة خطيرة، فظيعة إذا توسلت للنيل من كرامة هذه الإنسانة ".

ج. بعد التشكيك بالبنيان الواقعي الذي استند إليه الادعاء وهدم هذا البنيان:

وبعد تقويض الأدلة التي استند إليها البنيان الواقعي، وبعد عرض أدلة النفي، يمكن لصاحب المرافعة أن يتوصل إلى تصوير بنيان واقعي آخر يظهر براءة المتهم ويسلط الأنظار باتجاه آخر غير الذي وجه الادعاء باتجاهه.وإذا توصل المترافع إلى إقناع المحكمة بذلك فيكون عندئذ قد حقق الهدف المنشود من المرافعة.

النصائح الأساسية عند الوقوف للمرافعة :

أخي المترافع هذه بعض النصائح الأساسية التي يجب عليك وضعها نصب عينيك حتى تصبح مترافعا جيد :

١. ابدأ المرافعة بعد أخذ نفس طويل وعميق في هدوء وتواضع ثم استرسل.
٢. لا تبحث عن الكلمات ولكن فقط ابحث عن الفكرة والحقيقة.
٣. يجب الاتزان في المرافعة مع التقاط الأنفاس بين الأفكار الهامة.
٤. يجب إعداد مسودة واختلاس النظر إليها لأنها عبارة عن نقاط شاملة.
٥. لا تفكر في النتائج ولا تشغل بالك بها بل ركز التفكير في الأسباب وهي أهم عوامل النجاح.

obeikandl.com

٦. ابذل أقصى ما في وسعك ولا تستهن بالدعوى مهما كانت، فقد تدخل المحكمة والبراءة في جيبك ثم تحصل على أقصى عقوبة لأن المسألة تقديرية.

٧. يجب مناقشة ودحض أدلة الاتهام ضد المتهم أولاً، ثم عرض أدلة النفي وأدلة البراءة بعد ذلك.

٨. الجرأة الواضحة هي أسلوب المترافع المتميز الناجح.

٩. يجب تناول أقوال الشهود تفصيلاً بالحجج.

١٠.لا تنس إثبات الدفوع القانونية سواء الهامة أو الغير هامة في محضر الجلسة، فضلاً عن المذكرة مع المرافعة.

١١.ادرس فن التمثيل أمام القاضي والعب على أوتار قلبه.

١٢.لا تهاجم قاضيك ولا تتملقه.

١٣.يجب الأمانة في المرافعة بمعنى قصرها على الأشياء الصادقة والواضحة وعدم الخوض في المحاولات والأشياء غير الصادقة.

١٤.الأسلوب الأمثل للمرافعة في الجنح هو اللغة العامية الممتزجة بالعبارات القانونية فقط دون اللغة العربية أو النحوية الصرفة.

١٥.يفضل أن يكون الدفاع على هيئة نقاط على ورقة مكتوبة مسبقاً، حتى لا تخون الذاكرة المترافع وينظر إليها بين الحين والحين.

١٦.إن الموكل لا يهمه إلا مجرد أن يقوم المترافع عنه بالكلام بصوت مسموع ليسمع صوته لممثلي العدالة.

١٧.يجب التركيز في فهم الواقعة تماماً، ثم عرضها وشرحها بطريقة ميسرة ومفهومة، فمن لا يفهم لا يفهم، ومن لا يقتنع لا يقنع.

obeikandl.com

١٨.لا تبخس حق إبداء الملاحظات الغير ذات قيمة في نظرك وتكلم في النقاط الهامة وغير الهامة، فقد لا يكون القاضي متيقظاً للنقاط الهامة بقدر يقظته للنقاط الفرعية.

١٩.تكلم بصوت عال مسموع وقم بواجبك على أكمل وجه ولا يغرنك مظهر القاضي الدال على اقتناعه، ولا تقم أي حساب لكون القاضي يعرفك من قبل، إذ قد يكون ذلك مثاراً لنتيجة عكسية، لأن البعض يحكم بالظلم ضد من يعرفه لكي يشتهر بالعدل. فأنت سيد الدعوى بلا منازع.

٢٠.لا بد في ختام المرافعة من الحديث عن الظروف المخففة وظروف المتهم النفسية والأسرية والمرضية وسوابقه. فعندما يخاطب المحامي مشاعر القضاة في أدبيات الدعوى يجب أن يتخير العبارة الرنانة التي تبعث الحماسة وتهز المشاعر وتؤثر في النفوس.

obeikandl.com